فلم يمكن ما امل فعاود الكرة والشويع منتظر له في بلاد همدان فاجتمع بجميضه وعاودا الى صنعا في مائتين وثلاث
فارس وعدة من الرجل وعضدهم الداعي ابن الانف بجمع كثير من همدان فتقدموا على مصلى سبا المعروف الآن بالمشهد
فاتفقا على حديث لم يتم ولم يسعد الامام اليه فالحرب بين الامام واشراف الجوف على خروج الشراكسة الى يد
الامام وعلى حكمه وذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر شوال من هذه السنة ومما قاله الفقيه البليغ
موسى بن يحيى بهران يهني الامام بهذا الفتح وجعل اولها غزلا رقيقا لا باس بايراده لبلاغته اولها

بات سميري والبدر ناهجود	بدر تجلى في ليالي السعود
ما كان احلى سمري عنده	حتى كاني في جنات الخلود
لمقلتي من خده جنة	محفوفة بالنار ذات الوقود
يا موقد النار بقلبي عسى	تطفي لظاها رضاب برود
ويلي من المسواك ما باله	الى ثناياك كثير الورود
قد كنت اولا من اراك الحما	بالرشف لو ان بخيلا يجود
يا ساحر الاجفان واللحظ لو	قابلت موسى يوم حشر الجنود
غلبت باللحظ عصاه ولم	يخر اهل السحر منها سجود

فقال

حارب من الجور امام الهدى	افضل من رفت عليه البنود

ولم يزل في هذا الغزل الرقيق والصود الرحيق الى ان خرج الى المدح فقال

خليفة الرحمن في ارضه	مبارك الوجه كريم الجدود
بر تقي من بني المصطفى	امام حق ساعدته الجدود
قالت له الايام مذ اقبلت	ما احسن الوصل عقيب الصدود
وليست الدنيا له بغية	ولو بدت في زي حور خرود
وانما قام بنصر الهدى	بهمة ما برحت في صعود

وهي طويلة جيدة وقصدنا الاختصار وقد قيلت في الامام شرف الدين في هذا الفتح قصائد جمة لو ذكرناها
لطال الشرح والغرض الايجاز ولما خرج الشراكسة من القصر طلبوا من يجيبهم ومنع اهل صنعا منهم لشدة
ما كانوا يعاملون اهل صنعا به من العسف والعنف وشدة الوطاة فخرجوا صحبة المطهر ابن الامام الى
المشهد المقدس الذي يلي مشهد فروة بن مسيك رضي الله عنه فلما قربوا من المشهد فروا على ظهور خيولهم
ثم انهم قصدوا الداعي بن الانف فمنعهم من دخول بلاده الا باذن الامام ودخلت سنة اربع وعشرين وتسعمائة
وقعت في المخلاف السليماني فتنة بين امراء جازان وامراء كلخ وسببها ان الامير محسن بن محمد بن احمد
بن دريب صبح وادي جازان لاحن تقدمت بينهم وقتل من الامراء آل قطب الدين واهل صبيا عالم
كثير وكان رئيس جازان في ذلك الوقت الامير المهدي بن احمد بن دريب بن خالد بن قطب الدين وكانت
الوقعة بالعقوب فانهزم امراء جازان الى العالية من وادي خلب وفيها اجتمع الامام الحسن بن عز الدين
المقدم ذكره واشراف الجوف والشراكسة وتعاقدوا على حرب الامام شرف الدين ثم قصدوا بلاد ثلا وفيها عدة
من الاجناد الامامية فاخرجهم اهل المدينة وهزموهم هزيمة كبيرة وقتل من الشراكسة خمس وعشرون وجرت
رؤوس القتلى وغنموا من خيلهم وسلاحهم وبعدها فارق الامام الحسن بعض الشراكسة ووصلوا الى تهامة
وفيها قبض الامام حصن القفر الصغير من اهله وقبض الامام حصن كوكبان وفي سنة خمس وعشرين
وتسعمائة غدر الامير عز الدين بن احمد القطبي في المخلاف السليماني بابن عمه المهدي بن احمد بعد ان ارسل بجند
من عنده لاعانة الشراكسة فقتلوا اخاه وذلك الجند على اخذ الامارة من ابن عمه ورجع الى جازان وقبض
على ابن عمه وعلى اعوانه وسجنهم ثم قتلهم واستقل بالامارة وثبتت له الهيبة وفيها توجه الامام شرف
الدين الى حصار مدع وهو بيت الامام الحسن ثم توجه واخذ قارن ثم اخذ بلاد الطرف وكان تاج الدين
وفيها نقض العهد الشيخ محمد بن احمد الطاهري الذي كان برداع وطلع الى ذمار وعلى ان الامام قد اشتغل
عنه بالجهة الشامية فلما عاد الى صنعا وجد عليه الجنود فهرب الطاهري ونجا الى الشيخ بني مسلم وهو من
انصار الامام فاخذ له امانا من الامام وفي سنة ست وعشرين وتسعمائة توفي سلطان الاسلام
سليم خان بايزيد وتولى السلطنة خليفه السلطان الاعظم سليمان بن سليم وسياتي ان شاء الله ذكر ملوك
بني عثمان في فصل مستقل بعد استيفا احوال الامام شرف الدين ان شاء الله تعالى وفيها وصل امير
حلي بن يعقوب الامير قيس الى جازان فلقاه الامير عز الدين بن احمد القطبي الى موضع يسمى حمرات
قريب من وادي ضمد على ثلاثة اميال منه فوقعت بينهم وقعة عظيمة انكسر امراء جازان من
حمرات الى جازان وقتل منهم الامير يحيى بن احمد بن احمد دريب ومن اشراف صبيا عالم كثير وفيها
توفي الفقيه العالم العامل الولي سعيد بن يحيى بن احمد بن زكريا صاحب القصرة يوم الاثنين ثاني عشر

شهر جمادى

شهر جمادى الاولى وله كرامات كما ذكر بعض اهل النقل وفيها خرج المطهر بن الامام الى جبل تيس
في مغارب كوكبان فاستولى عليه وعاد مظفرا وفي يوم الاثنين ثاني عشر شوال تسلم الامام شرف الدين
حصن ذي مرمر وعمل فيه موكب عظيم وفي سنة سبع وعشرين وتسعمائة نقض الهدنة اشراف الجوف بينهم
وبين الامام شرف الدين وكان في البون منهم قاسم بن حميضة والشويع وغيرهم من آل عز فخرج الامام
وولده المطهر صحبتهم الرجود الامير الخطير الناصر بن احمد بن محمد بن حسين وغيره فلما تقابل الجهات
حمل الامام بمن معه فانهزم آل عز وقتل من جموعهم خلق وحاصرهم الامام في عمران واحاط بهم من كل
مكان فخرج منهم الاكثر على حكم الامام وخرج معهم بعض الشراكسة الذين خرجوا من صنعا فاخذ الامام
خيلهم ودروعهم وسلاحهم وحبس حميضة واصحابه في حصن ثلا واما الشويع فكان له فرس من عتاق
الخيل يسمى الخطلا فدنى بها من دائرة عمران واوثبها فوثبت الدائرة ونجا على ظهرها ثم طلب الشويع من
الامام ذمة سنة فاجابهم الى ذلك ورجع الى صنعا وفي سنة ثمان وعشرين خرج المطهر ابن الامام
الى عمران فشرع اهلها يمتنعون عليه فحمل عليهم ودخل عمران عنوة واسر من فيها وفي سنة تسع وعشرين
توفي الامام الناصر الحسن بن عز الدين في فللة وفي سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة امر الامير حسين
صاحب زبيد من الشراكسة قدر مائتين فارس الى موزع وكانت الى مملكة عبد الملك بن محمد الطاهري
فلما بلغه وصول الشراكسة غزاهم اليها فلم يشعروا الا وقد خالطتهم عساكره وناوشتهم بوارده فقتل منهم
من قتل وفر الباقون الى زبيد فلما عاين الامير الحسين ما اصابهم من الذلة والجبن ثارت به الغضبية
وخالطته الحمية فخرج متجردا لقتال عبد الملك الى صقع دارة ومحل قراره يطوي المراحل بتلك الجحافل
فما شعر عبد الملك وهو في تعز الاعلى الا وقد حط الامير الحسين في ميدان دار الوعد فجرت لقيا لهم
ثم ولاهم الدبر وفر منهم بعد ان قتل طائفة من قومه ثم دخل حصن تعز وخرج منه خائفا يترقب
فانتهبت هزيمته وفر بواسه الى مصرح ودخل الشراكسة بعد فراره مدينة تعز فاستباحوا في تعز محطة
عبد الملك ولم يتعرضوا لغيرها وتسلموا الحصن ثم تبعوه الى مصرح وحاصروه وترددوا في الرصد بما في
المقراتة ودمت وقد طغى من خوفهم اهل تلك البلاد واشتد الحصار على عبد الملك في مصرح فاخرج
مكالفه من جانب الحصن من محل لا يعرف سواه وتمت له النجاة ثم انه التفت الى خزائنه وذخائره
فاحرقه وفرق ما فرق وقصد حصون الشيخ الغيلاني وكان واليا له في بعض الحصون فقبض عليه
الغيلاني حال وصوله وارسل الى امير الشراكسة يخبرهم بقبضه فبادروا الوصول واودعوا عبد
الملك الكبول وحملوه ومكالفه الى جهة حبان وامر بعبد الملك فقتل ونال مكالفه من الفقر
والوبال ما يقصر عنه المقال ثم ان الشيخ الحلي من اهل شرعب اخذته الحمية والنخوة العربية ولف
شملهم المبدد وجلاكربهم الاسود وسار بهم الى حضرة المشايخ بن سرحه ولما وصل الشراكسة المقراتة
وفعلوا ما فعلوا حصل مع اهل صنعا ما حصل من الرعب والوجل وخرج بعضهم الى البوادي وكذلك
اهل ذمار وقع منهم ما وقع من اهل صنعا وكان الامام شرف الدين وولده المطهر في ثلا فلما بلغهم ما
وقع من اهل صنعا وذمار توجه الى صنعا ودخلها صبح يوم الجمعة في شهر رجب فطلب من بقي من
اهل صنعا ولامهم على سوء فعلهم فان ذلك يجري عليهم الخصم فلاموا انفسهم واعترفوا بخطاياهم وفي اول
شعبان وقع الطاعون في صنعا وغيرها وعم البلاد وهلك فيه الجم الغفير وكان يخرج من صنعا كل يوم
فوق المائة وكان في آخر يوم من رمضان خرج من صنعا سبع عشرة ومثلها يوم العيد وثاني
العيد ولم يبق في المدينة الا اليسير وفي سنة سبع وعشرين وتسعمائة وصل مرسوم السلطان الاعظم سليمان
بن سليم بن بايزيد الى والي زبيد الاسكندر يتوعده فدخل في طاعة السلطان وانتمى اليه وقابل قفناه
بالاكرام والاحسان العام قال الواسطي في ارجوزته المشهورة لديهم

ومن بعدنا سكندر تروما * وصار في دولته مخضرما

ولما فعل ذلك الاسكندر تنكرت له عساكره من الشراكسة وثاروا عليه فاظهر لهم الانحراف عن السلطنة العثمانية
وقام في اليمن مدة مظهرا لطاعة السلطنة ومداريا للوند وفيها كان الصباح بابي عريش المعروف
بصباح اسكندر وذلك ان اسكندر ارسل عواير الى جازان يريد اخذه لما بلغه ان الامير عز الدين قتل اخاه
المهدي فلما بلغهم وصول عسكره انهزموا وعطلوا البلاد وهرب الامير عز الدين ولم يقابل عن مملكته ولا
ذبت عن نفسه فوصلت الاجناد واخربوا وادي جازان الى البحر ورجعوا الى زبيد فتراجع اهل جازان
وبقي الامير عز الدين على مملكته وفي سنة ست وعشرين وتسعمائة تكبر الاسكندر وطغى وتجبر على اصحابه
اللوند فخالفوا الجال الرومي وحولوه امرهم وثاروا على اسكندر فهجموه وقتلوه وتولى قتله الجال
الرومي الذي ولوه الامارة وصفى الامر للجال الرومي ونشر العدل بزعمه وهو الذي بنى المدرسة الجالية
بزبيد ومدة ولايته سنتين ونصف وفيها توفي بالمخلاف السليماني الشيخ الجليل الفاضل النبيل الهادي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)